

تاريخ الخطبة

الجمعة، 13 جمادى الثانية، 1433 الموافق 2012/05/04

ديمقراطيتنا خادم للإسلام

وليس إسلامنا خادم لها

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

لا أكاد أجد في كتاب الله عز وجل آيةً تعاني من الغربة في عالمنا العربي والإسلامي، بل تعاني من العقوق بين من يسمون إسلاميين أو معرفين بالإسلام من تلك الآية التي نقرأها في افتتاح سورة الممتحنة، إنها قول الله سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) [الممتحنة: 1].

إلى أن قال:

(وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [المتحنة: 1].

ما أكثر ما تردد هذه الآية على الأسماع وما أكثر ما تتلوها أفواه، ولكننا ننظر فنجد أن جُلَّ من يقومون بمهمة الدعوة إلى الله عز وجل عن مضمون هذه الآية معرضين ونجدهم يبنذونها وراء ظهورهم، في حين أن أمريكا تقابلهم وتقبل إليهم قائلة أعطوني قلوبكم أمتعكم بإسلامكم، وسرعان ما يستجيبون، سرعان ما ينغضون إليهم الرؤوس ويدلون إليهم باللواء ويقبلون إليهم بالاستجابة، يلاحقهم بيان الله سبحانه وتعالى بهذه الآية وبمؤكداتها، يقول لهم الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) [آل عمران: 118].

تردد هذه الآية على الأسماع، وما أكثر ما تقرأها الأفواه في مناسبات شتى ولكننا ننظر إلى هؤلاء الإخوة الذين ينهضون بواجب التعريف بالإسلام وإقامة ما يسمى المجتمع الإسلامي، ننظر إليهم فنجدهم يعرضون عن هذا البيان المحذر الرباني كإعراض من وُضِعَ أمامه طعام وطال العهد به حتى تبرم به وعافته نفسه. هذا هو الواقع الذي نراه يا عباد الله. بيان الله سبحانه وتعالى يقول:

(لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)

يقول: (لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا)

ولا يتم من وراء ذلك إلا الإعراض عن التنفيذ، وبالمقابل تقبل أمريكا قائلة: عليكم أن تنبعثوا إلى تطبيق الفوضى الخلاقة ولسوف تجدون كيف ينبعث

الإسلام الذي تبحثون عنه في رحم هذه الفوضى التي أدعوكم إليها، وننظر فنجد أن القوم يستجيبون، وننظر فنجد أن القوم يصدقون، تقول لهم أمريكا: إن إسلامكم سيزدهر أيما ازدهار من خلال انبثاق شرق أوسط كبير كبير، وننظر فنجد أن القوم يتسابقون إلى الاستجابة لهذا الوعد، وتأمل فنجد الأفواه تتبارى في نفخ نيران هذه الفوضى الخلاقة للقتل، المفجرة للدم، أليس هذا مصداق ما أقول يا عباد الله؟ آية في كتاب الله أقرؤها وأتدبرها وأنظر إلى العالم الذي أنا في داخله ويترامى من حولي أن تترامى أنشطة شتى كلها تدعو إلى الإسلام وكلها تنادي بالإسلام ولكن الجميع عن هذا النداء معرضون، إنها آية تعاني من غربة وأي غربة، إنها آية تعاني من العقوق ممن بايعوا الله بالأمس ثم عقوا نداءه اليوم. عباد الله: أيعقل هذا فيما يتعلق بتصوير الإنسان ملتزماً بدينه أو ملتزماً بعقله؟ أفئن غاب الالتزام بأوامر الله وغاب الاعتصام بحبله أفحتم أن يغيب عنا الرشيد أيضاً؟ أفحتم أن يغيب عنا سلطان العقل أيضاً؟ متى كان النقيض يُستوَلَد من نقيضه عباد الله؟ من قال هذا؟ أفينبعث الإسلام حقاً من القرار الذي اتخذته المجلس القومي الأمريكي والذي ينص على أنه يجب إثارة التناقضات داخل المعتقد الإسلامي ويجب تأليب المسلمين بعضهم على بعض حتى يتآكل الإسلام ويمحي في أرضه، أفينبثق الإسلام من هذا القرار أم ينبثق الإسلام من هذا التقرير الذي نقرؤه ونتبينه وهو موجود لدينا ونكاد أن نحفظه غيباً، من قال هذا، كيف يمكن للنقيض أن يُستوَلَد من النقيض، وإذا كان فاقد الشيء لا يعطيه أيها الإخوة أفتأتى للعدو أن يأتي - إذا كان فاقد الشيء لا يعطيه - أفتأتى عدو الشيء أن يأتي بذلك الشيء لأصحابه؟ تلك هي المصيبة التي نعاني منها، وها هو ذا الإسلام الأمريكي الذي تعدنا به أمريكا -

لا بل تعد أولئك الذين يسمون الإسلاميين - ها هو ذا يطل علينا إسلاماً جديداً لا عهد لنا به. فتاوى عجبية وغريبة تنسخ الثوابت وتثبت ما لا عهد لنا به ولا معرفة لنا به. وبالأمس حدثكم عن طائفة من هذه الفتاوى المتناقضة، بالأمس كان الفتوى تتضمن شرعية أمر من الأمور وإذا بما اليوم تتضمن بطلان هذه الشرعية، ذكرت لكم أمثلة ولا أريد أن أعيد، ولكن ما العلاج أيها الإخوة؟

أولاً ينبغي أن نتساءل أنحن صادقون في أننا نريد أن ننفذ الإسلام الذي ابتعث الله عز وجل به الرسل والأنبياء وكان خاتمهم محمداً ﷺ؟ أفنحن صادقون أننا ننقاد بدافع العبودية لسلطان الله عز وجل ومن ثم نحن نسعى إلى استرضاءه واستنزاع رحمته من علياء ربوبيته؟ إن كنا صادقين في هذا فسبيل السعي إلى تنفيذ أوامر الله وإقامة المجتمع الإسلامي إنما هو الانطلاق من أساس لا ثاني له هو أساس استشعار العبودية لله لا لغيره، هو أساس الاصطباغ بذل العبودية لله عز وجل لا لغيره، فإذا استتبنا هذه الحقيقة إن كانت معدومة وإذا أيقظناها إن كانت موجودة وراقدة فإن الحل بعد ذلك يصبح جليلاً ويسيراً. وليئنا هو الله، ليس لنا ولياً من دونه ومن ثم فإن منهجنا في تنفيذ الإسلام هو الرجوع إلى وصايا الله عز وجل، هو الرجوع بالتوبة إلى الله قائلين: ها نحن مولانا قد جددنا العهد، لن نتخذ عدونا وعدوك ولياً لنا قط، لن نتخذ لأنفسنا بطانة من دونك، نعم.

أيها الإخوة: هذا هو قرارنا في شامنا هذه، وهذه هي بيعتنا مع الله سبحانه وتعالى، ولسوف نسير قدماً ننفذ هذه البيعة لا نلتفت عنها إلى يمين ولا إلى شمال. الديمقراطية التي تستنبت اليوم ويتم إنضاجها فوق شامنا هذه لن

تكون إلا تربة تينع فيها حقيقة الإسلام ويينع فيها النظام الإسلامي الحقيقي، نعم. هكذا تكون ديمقراطيتنا فوق شامنا هذه. وإذا رأينا أن السلطان قد اختلف مع القرآن فإننا مع القرآن، هكذا نقول دائماً وهكذا نسير أيّاً كان السلطان الذي يريد أن يبعدهنا عن كتاب الله عز وجل سواء كان دولة عاتية كأمریکا أو دولة ذيلية من تلك الدول الأخرى، لن نستجيب إلا لنداء الله، نحن مع القرآن، ومن ثم أقول لهؤلاء الإخوة إن كانوا صادقين في انطلاقهم إلى الإسلام من جذوة العبودية لله عز وجل، إن كانوا صادقين في أنهم لا يبتغون عن رضا الله عز وجل بدلاً، إن كانوا صادقين في أنهم ينشدون لقاء الله عز وجل وهو عنهم راض أقول لهم تعالوا إلى بلاد الشام، أَدعُوهم إلى ذلك بدعوة رسول الله ﷺ عندما سئل عندما تدلهم الفتن عن البلدة التي يمكن أن يختارها المسلم قال: **(عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده)**، لست أنا القائل، رسول الله ﷺ هو الذي قال هذا.

أيها الإخوة: يا من ينشدون الإسلام ابتغاء رضا الله، يا من ينشدون إقامة الدولة الإسلامية ابتغاء تنفيذ أوامر الله عز وجل تعالوا لتمتد منا الأيدي بعضنا إلى بعض، تعالوا لتجدوا تربة الإسلام طاهرة نقية، تعالوا لتجدوا أن شامنا محصنة ضد المؤامرات التي تتمثل في الشرق الأوسط الكبير، ضد المؤامرات التي تتمثل في الفوضى الخلاقة التي تمعن في خلق القتل وفي تفجير الدم، تعالوا - إن كنتم صادقين في ابتغاء الإسلام - فلن تجدوا بعد وصية رسول الله وبعد دعوة رسول الله وبعد القرار الذي أعلنه رسول الله ﷺ، خيرٌ لكم من مكان تنتجعون فيه وتنهضون فيه بالدعوة التي أمر الله عز وجل بها خيراً من شامكم هذه، وأنا كنت ولا أزال دائماً أنهج إلى حسن الظن، ومن منطلق حسن الظن هذا أمد

يدي، من منطلق حسن الظن هذا أَدْعُوا هؤُلاءِ الإِخوةَ إلى أن يجتمع معاً
ونستظل معاً في ظلال قول الله عز وجل:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

[الحجرات: 10].

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

